

المصطلحات النقدية في النظرية الحوارية عند باختين

Critical terminology in Bakhtin's dialogic theory

¹،* : حورية زيبوش.

Houria zaybouche

University Center of Tipaza

الملخص

نسعى من خلال تقديم مداخلة حول "المصطلحات النقدية في النظرية الحوارية" إلى التعرف على أهم المصطلحات التي تبناها التنظير الحوارية وكذا مفهوم الحوارية والتعدد الصوتي في الرواية البوليفونية على حدّ تعبير الناقد الروس ي "ميخائيل باختين" لنلمس بذلك عنوان الفعالية العلمية حول "النقد والناقد والمجتمع" محاولين بذلك ربط العلاقة بين النقد الحوارية ودور الناقد في عرض نظرية روائية يوضح من خلالها صورة المتكلم في الرواية ولغته الاجتماعية بطبعها وهي جزء من الحياة الاجتماعية الواقعية التي يتبناها الروائي في عمله الأدبي، حيث تعرض الصراعات الإيديولوجية في المجتمعات محاولة كلّ طرف عرض أفكاره المحايدة للطرف الآخر .

الكلمات المفتاحية: الحوارية، التعدد الصوتي، باختين، اجتماعية اللغة.

Abstract

By presenting an intervention on "Critical Terminology in Dialogic Theory", we seek to identify the most important terms adopted by dialogic theorizing, as well as the concept of dialogism and polyphonic in

the polyphonic novel, in the words of the Russian critic Mikhail Bakhtin, so that we can feel the title of scientific effectiveness and criticism about "Scientific Criticism and Society" In this way, trying to link the relationship between dialogue criticism and the role of the critic in presenting a novelist theory through which he clarifies the image of the speaker in the novel and his social language by

nature, which is part of the realistic social life that the novelist adopts in his literary work, where ideological conflicts in societies are presented as each party attempts to present its neutral ideas to the other party.

Keywords: conversationalism, polyphonic, Bakhtin, sociolinguistics

مقدمة

يتعلّق أيّ نتاج أدبيّ روائيٍّ مُدرج ضمن النّظريّة الحوارية بخصائص تُخالف ما كانت عليه الرّواية التقليديّة أو المونولوجية، فلمّا كانت الرواية المونولوجيّة ذات نظرة أحاديّة وسلطة يفرضها الكاتب على نصّه، ظهر المنظّر الروس ي "ميخائيل باختين" بنظرة مغايرة للبناء النصّي القديم وبتنظير جديد للرّواية يُخالف ما سبقه، فظهرت معه الرّواية المتعدّدة الأصوات، بعد دراساته لأعمال الكاتب الروس ي "دوستوفسكي" الذي يرى أنّ هذا النوع الرّوائيّ أوّل ما ظهر مع هذا الكاتب وكتّاب آخرين من أمثال "تولستوي" و"رابلية"، كما سعى إلى عرض قيمة المتكلم في الرّواية بوصفه كائناً اجتماعيّاً لا فرديّاً ولغته اجتماعية، فالتكلم، حسبّه، هو كلّ خطاب في الرّواية يندمج بالضرورة مع خطاب آخر بوساطة اللّغة فيُحقّق وعياً إنسانياً يكشف عن المستويات الاجتماعيّة في الرّواية، كما أنّ أهميّة هذه الدراسة التي أوّلاها

"باختين" عناية فائقة تتمثل في العلاقة الثنائية بين "الأنا" و"الآخر" والقيمة التي يُخلفها هذا الثنائي تكون محور التبادل الحواري. ومنه طرح الإشكالية الآتية: كيف ساهم النقد الحواري في تشكيل البنية الاجتماعية في الرواية البوليفونية؟

1. مرجعيات النقد الحواري

كان للشكلايين الروس الفضل في إرساء مفهوم الخطاب في الرواية، ذلك أن جلداساتهم كانت تهمّ بالأدب عموماً، هذه المدرسة التي اتخذت من السنية "دي سوسي ر" (de Saussure) «مستودعا يستمدّون منه المصطلحات ويسعفهم على قياس البنى الأدبية بمقاييس البنية اللغوية»⁵، حيث جعلوا النصّ الأدبي بنية فنية مغلقة ومكتفية بذاتها وعزلوه عن المؤثرات الخارجية التي تخصّ المؤلف أو البنية الاجتماعية التي ظهر نتيجة لها هذا العمل الأدبي، كما ميّزوا بين الخطاب والقصة تتعلق بالأحداث والأشخاص في فعلهم وتفاعلهم فيما بينهم مع الأحداث التي تجري، ويرتبط الخطاب بالطريقة التي بواسطتها يتمّ إيصال القصة أو التعبير عنها، وسيصبح هذا التمييز

⁵ يُنظر مقدّمة المترجم، ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر. محمد برادة، ط 1، دار الفكر، القاهرة 1987، ص 14. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ط 3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1997، ص 169. ² يُنظر مقدّمة المترجم، ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص 15. ³

قاعدة يعتمد عليها كلّ النقد الذي سينبني على تراث الشكلانيين الروس والذي سيستفيد _ بهدف التطور _ من كلّ ما يتحقق في مجال اللسانيات ²، هذا ما اعتمده الشكلازيون في دراسة النص الأدبي بحيث عزلوا النص عن الدراسات النقدية السوسيولوجية التي تهتمّ بالبنية الاجتماعية للنص الأدبي، وعلى ذلك ظهر الناقد الروس ي "ميخائيل باختين" (Mikhail Bakhtine) بدراساته المغايرة لما تطمح إليه أعمال هؤلاء وجعل من الرواية مجالاً للتواصل عبر اللغات التي تحقق تعدداً في طرح الإيديولوجيات المختلفة، فالرواية « هي التنوع الاجتماعي للغات وأحياناً للغات والأصوات الفردية تنوعاً منظماً أدبياً » ³، فالتنوع الاجتماعي يكون بالنسبة للغات الاجتماعية عند الأفراد على اختلاف مستوياتهم وكذلك لغتهم المهنية، ممّا يمنح للرواية تركيبة اجتماعية غير متجانسة .

لم يميز "باختين" في نظيره الروائي بين الخطاب، والملفوظ والكلمة وإنما جعل لها مفهوماً واحداً، وقد جعل للغة مكانة أساسية « ولكنّها ليست اللغة النسق ذات البنية

الثابتة، وإنما اللغة _ الملفوظ _ الكلمة _ الخطاب المحمّلة بالقصدية والوعي والسائرة من المطلقة إلى النسبية، والتي تتباعد عن دلالة المعجم لتحترض معاني المتكلمين داخل الرواية، فتكشف لنا عن أنماط العلاقات القائمة بين الشخص و عن القصدية الكامنة وراء كلامهم وأفعالهم ⁶ ومنه يُلغى المعنى اللغوي الذي تحمله هذه المصطلحات في المعجم كبنى شكلية ثابتة، وإنما يصل إلى أنّ الكلمة والملفوظ والخطاب هي لغة محمّلة بوجهات نظر، تظهر في الرواية بصفة نسبية، تعرضها عن طريق أصوات متعدّدة، فلا يكون هيمنة لصوت على آخر وذلك من خلال تعالق الأصوات بعضها بعضاً، فتعرض هذه الإيديولوجيات من خلال ما تقوله الشخصيات أو ما تفعله، لأنّ الأفعال بدورها تحمل إيديولوجيات التي حسب باختين» تولد في ممارسة الكلام، وهي ليست نتاجاً للحياة الاجتماعية فقط بل إنّها تقوم بإنتاج العلاقات الاجتماعية المعيشة و تعيد إنتاج هذه العلاقات وهي تولد من اصطدام العلامة بالعلامة والفكرة بالفكرة في عملية التفاعل الحوارية الذي يُنشئ وسطاً إيديولوجياً يقيم حول الكائن الإنساني غلافاً صلباً لا يستطيع الفكّ منه ⁵ فيحدث تفاعل في اللغة قائم على حوار الأصوات يضيفي إلينا بحركية في الخطاب الذي تكمن أهميته في تشكيل النصّ الروائي، ومنه تظهر في الرواية

⁶ المرجع نفسه، ص 16.

ينظر مقدّمة المترجم، تزفيتان تودوروف، ميخائيل باختين: المبدأ الحوارية، تر. صالح فخري، ط 2، المؤسسة

العربية للدراسات، بيروت، 1996، ص 9.

حوارية في الخطاب كنظرية ظهرت مع "ميخائيل باختين" حيث استنتجها من خلال دراساته لروايات كلٍّ من "دوستوفسكي" و"تولستوي" و"رابلية" ومنه انطلق "باختين" في تنظيره بالجمع بين الجانب الشكلي والإيديولوجي ليشكل بنية لمجتمع روائي، هذا وقد ركّز باختين على اللغة التي استمدّ مفهومها « من الفلسفة الماركسية التي تقرّ باجتماعية الإنسان، وبالتالي اجتماعية اللغة، لأنّ دلالة الكلمة وفهم هذه الدلالة تتجاوز برأيه حدود الجانب الفيزيولوجي المعزول وتتطلّب تفاعل عدّة أعضاء، وهكذا

يتحقّق الوعي الذاتي للإنسان من خلال علاقته بأفراد فئته الاجتماعية، لأنّ الشخصلا يصبح واقعياً تاريخياً ولا منتجا ثقافيا ما لم يكن منتما إلى مجتمع و إلى ثقافة⁶ .

لقد بنى "باختين" تصوّرا إبستمولوجيا مغايرا لما اعتمده منظّرو الرواية الذين سبقوه من أمثال "هيجل" (Hegel) الذي جعل من الرواية ملحمة برجوازية إذ ربطها شك لا ومضمونا بالتغيرات التي عرفها المجتمع الأوروبي بعد ظهور البرجوازية، وكذلك "لوسيان كولدمان" (L. Goldman) الذي ولّد بدوره سوسيولوجيا الرواية، إلّا أنّ نظرة

"باختين" إلى البناء الروائي كانت متفتحة على كلّ قديم وحديث، فبحث عن أصل الرواية» محاولاً أن يجد لها جذوراً في أحضان الثقافة الشعبية (خاصة طقوس الكرنفال) وأن يتلمّس مكوّناتها النصّية في بعض النصوص النثرية الإغريقية والرومانية القديمة وكذلك في روايات العصور الوسطى «⁷؛ أي ربط "باختين" نشأة الرواية بما كان سائداً في أوروبا في العصر الإغريقي بالاحتفالات) الكرنفالية والحوارات السقراطية والمجاءات المنبثقة(*) وجعل من اللغة الرسمية اللاتينية والإغريقية المتداولة آنذاك التي تميّزت بها الكتابة الأدبية تنفساً، وفتح بها مجالا تشترك فيه لغات ولهجات شعبية تختلف باختلاف المستويات الثقافية لدى الأفراد، كما نالت روايات العصور الوسطى حصّتها من الدراسة والتأصيل للجنس الروائي عند "باختين".

كما استدلّ "باختين" على أنّ الرواية كجنس تعبري تبقى متفتحة وذات علاقة مع بقيّة الأجناس الأدبية التي تتخلّلها (الشعر، القصة، الأسطورة، الحكاية، الحكمة وغيرها) (غير الأدبية) الخطاب الفلسفي، الخطاب التاريخي، الخطاب الصوفي،

ميلود شنوفي، إشكالية التعميم في حوارية باختين: نزيف الحجر لإبراهيم الكوني نموذجاً،

رسالة دكتوراه، مخطوط، جامعة الجزائر 2، 2011، ص 29.⁶

3 يُنظر مقدّمة المترجم، ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص 15.

* هي أصول شعبية ظهرت في العصر الإغريقي، تجمع بين مختلف المستويات الاجتماعية والثقافية، تميّزت بالأدب المضحك و الساخر الذي كان وراء نشأة الرواية عند باختين.

الخطاب الصحفي والأمثال الشعبية.... وغيرها)، ومن خلال هذه العناصر نقوم بالتشخيص الأدبي للغة وتوضيح صورتها في الرواية، ممّا يؤدي إلى ظهور حركية في الخطاب، هذا التحوّل على مستوى بنية الرواية يجعلها ذات طابع متغيّر يسير دائما نحو التجديد فلا يمكن تأطيره وضبطه بنموذج معيّن.

2. مصطلحات النقد الحواري

تظهر بنية المجتمع في الخطاب الروائي من خلال تجسيد صورة اللغة في الرواية، وذلك بتوفّر العمل الروائي الحواري على مجموعة من الخصائص فتكوّن وحدة متكاملة عن صورة اللغة، كما قد يتوفّر على جزء من هذه المميّزات أو إحداها فيحقّق بذلك حوارية، وتتمثّل هذه الخصائص كما وردت عند "باختين" كما يلي:»

-التهجين.

-العلاقة المتبادلة المشحونة بالحوارية بين اللّغات.

-الحوارات الخالصة»⁷.

غير أنّ هذه الخصائص كما يرى "باختين" لا يمكن فصلها إلاّ نظرياً، أما علمياً فهي متشابكة ومتداخلة بشكل وثيق في النسيج الفني الواحد للصورة»⁹.

1.2 التهجين: (L'ybridation)

يعرّفه "باختين" أنّه المزج بين لغتين اجتماعيتين في نطاق القول الواحد، إنّهُ اللقاء على ساحة هذا الملفوظ بين وعيان لغويان مختلفان تفصل بينهما حقبة تاريخية، أوتباين اجتماعي(أو كلاهما معاً) «⁸، والتهجين نوعان، إرادي وغير إرادي، فالإرادي هو ما يوظّفه الكاتب في نصّه عن قصد ووعي به، أما غير الإرادي فهو ما ينتج إثر التعالق بين اللّغات واللّهجات الاجتماعية الواحدة خارج العمل الأدبي، فتحدث علاقة تأثير وتأثر متبادلين،» وهذا النوع من التهجين ليس له بعد فني جمالي، لأنّ اللّغات لا

⁷ ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، تر. يوسف حلاق، ط1، منشورات وزارة الثقافة، سوريا،

1988، ص144. المرجع نفسه، الصفحة نفسها.⁹

⁸ ، ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية ، مرجع سابق، ص144.

تتجاوز بطريقة إبداعية جمالية إلاّ داخل الفنّ الروائيّ الذي يكون فيه التهجين إراديا «⁹، ومنهتتحقق صورة اللّغة الفنّية في الرّواية من خلال التهجين الإرادي عكس ما تُؤول إليه العلاقات بين الكلام العادي خارج العمل الأدبيّ الذي من خلاله يظهر التهجين بصفة عفوية تلقائيّة غير مقصودة.

2.2 العلاقات المتبادلة المشحونة بالحوارية بين اللّغات

هو تعالق داخلي للغات الرّواية لكن من غير اللّجوء إلى توحيد للغتين داخل ملفوظ واحد مثلما يتعلّق الأمر بالتهجين» وإّما هي لغة واحدة محينة وملفوظة إلاّ أنّها مقدّمة على ضوء اللّغة الأخرى، وهذه اللّغة الثّانية تضلّ خارج الملفوظ ولا تتحيّن أبدا «¹² ويظهر هذا التعالق من خلال ثلاث صيغ هي: الأسلبة، والباروديا، والتنويع .

1.2.2.. الأسلبة (La stylisation)

يعرّف "باختين" الأسلبة أنّها «تشخيص وانعكاس أدبيين للأسلوب اللّساني لدى الآخرين، وفيها يقدّم، إلزاميّاً، وعيان لسانيان مفردان: وعي من يشخّص (الوعي اللّساني للمؤسّلب) ووعي من هو موضوع للتشخيص والأسلبة «¹³، فيلجأ الروائي للأسلبة رغبة

⁹ عبد المجيد حسيب، حوارية الفنّ الروائيّ، كلىة الآداب و اللّغات، المغرب،

2007، ص36. ميخائيل باختين، الخطاب الروائيّ، مرجع سابق،

ص122. ¹² المرجع نفسه، الصفحة نفسها. ¹³

في محاكاة أساليب الغير بصورة غير مباشرة في الموضوع، وبالتالي يدرج لغة مؤسّلة يحاكي من خلالها وينقل ما تضمّنه الوعي المؤسّلب.

2.2.2. المحاكات الساخرة أو الباروديا (La parodie)

هي نوع أساس ي من الأسلبة، تقوم على توظيف الأسلوب اللّغوي الذي يتحدّث به الغير ويكون معارضا له، فالمحاكاة الساخرة حسب "باختين" أنّ المؤلّف « يتحدّث بواسطة كلمة الآخرين، ولكنّه - بعكس ما يفعله في تقليد الأساليب - يُدخل على هذه الكلمة أنّها دلاليّا يتعارض تماما مع النزعة الغيريّة، إنّ الصّوت الثاني الذي استقرّ في الكلمة الغيرية يتصادم هنا بضراوة مع سيّد الدار الأصلي ويُجره على خدمة أهداف تتعارض مع الأهداف الأصليّة تماما»¹⁴، وبالتالي يحتدم ويتصارع الوعي المؤسّلب مع الوعي المؤسّلب ويحاول فرض سيطرته عليه ليتصدّر السخرية من خطاب الآخر.

3.22.. التنوع (La variation)

يعرّفه "باختين" أنّه ما « يُدخل بحريّة مادة للغة الأجنبية في التيمات المعاصرة ويجمع العالم المؤسّلب بعالم الوعي المعاصر، ويضع موضع الاختبار اللّغة المؤسّلة وذلك بإدراجها ضمن مواقف جديدة ومُحالة بالنسبة لها »¹⁰، أي عند محاكاته لأسلوب الغير يُدخل عليه

ص123.

¹⁰ ميخائيل باختين الخطاب الزوّاي، مرجع سابق،

مادته المعاصرة أو الجديدة كأن تكون كلمة أو صيغة أو جملة وذلك لإدراج المادة الأوليّة
للغة المؤسّلة ضمن مواقف جديدة مستحيل أن تتقبّله.

3.2 الحوارات الخالصة

إنّ وجود أطراف متحاورة في النصّ خطوة أساسية في خلق صورة اللغة في الرواية
ونعني بالحوارات الخالصة « حوار الشخصيات فيما بينها داخل الحكّي ومن خلال هذه
الحوارات يتمّ اكتشاف المنحدرات الاجتماعية والإيديولوجية والزمنيّة لمختلف الأصوات

1 ميخائيل باختين، شعرية دوستوفسكي، تر. جميل نصيف التكريتي، ط1، دار توبقال،
الدار البيضاء، 1986، ص282.

التي تتصادم في جسم النص، فتغدو أقوال الشخصيات طريقة أخرى لإدخال
التعدّد اللغوي إلى الرواية «¹¹، ذلك لأنّ المواجهات الحوارية في النصّ لا تنتهي إلى حلّ
يناسب موضوع الحوار وإنما تخلق محاورات أخرى تكشف من خلالها صراع الأصوات الذي
يظهر على النصّ تعدّد لغويًا، وذلك من خلال حوارات الشخص ومونولوجاتها، وبذلك

يرى "باختين" أنّ «حوار اللّغات ليس مجرّد حوار القوى الاجتماعية في سكونيّة تعايشها بل هو أيضا حوار الأزمنة والحقب والأيّام، وحوار ما يموت ويعيش، ويولد: هنا ينصهر التعايش والتطوّر معا في الوحدة الملموسة الصلبة، لتنوّع مليء بتناقضات لغات مختلفة»¹²، أي أنّ الحوار يتعلّق مع الماضي والحاضر وحتى المستقبل، أي المتغيّرات وليس فقط ما تعيشه المجتمعات في آنيتها.

3. مفهوم الحوارية و التعدّد الصوتي

13.. مفهوم الحوارية (Le dialogisme)

الحوارية كمصطلح يعبر به "باختين" عن العلاقة التي تقوم بين التعبيرات فيما بينها هذه العلاقة تولّد بدورها وعيا إنسانيا الذي يتجسّد عن وعي الآخرين عن طريق اللّغة المتفاعلة والمتعلّقة التي تقوم على الحوار، والحوار لا يتحقّق فقط وفق أطراف تتبادل الكلام وإنّما هو ما ينتج عن كلّ تفاعل لفظي منطوق أو مكتوب لأتّهما كليهما يحمل إيديولوجيات قابلة للنقاش تنتج بدورها أفكارا أخرى ممّا يخلق تعدّدا صوتيا، كما يرى "باختين" أنّ «الفكرة - كما رآها "دوستوفسكي" الفنان - ليست صياغة ذاتية وسيكولوجية فردية مع مثوى لها داخل رأس الإنسان، كالأفكار، فالفكرة ذات طابع

¹² ميخائيل باختين، الخطاب الزوّائي، مرجع سابق، ص124.

فريدداخلي، وذاتي داخلي، إنّ مجال وجودها لا الوعي الفردي، بل العلاقة الحوارية بين مختلف أشكال الوعي»¹³؛ أي أنّه لا نستطيع أن نقول بحوارية الفكرة إلّا إذا تحقّق

التفاعل مع أفكار خارجة عن الوعي الفردي، أي تتعالق هذه الفكرة الفرديّة مع الفكرالجماعي المتنوع (أفكار الآخرين) فتقيم حوارية، كما أنّ « العلاقات الحوارية ممكنة حتّبين الأساليب اللّغوية وبين اللّهجات الاجتماعية الخ، وذلك بشرط أن يجري استيعابها بوصفها مواقف ما ذات معنى محدّد، بوصفها وجهات نظر لغويّة من نوعها، أي ليس من خلال دراستها وفق منهج علم اللّغة الصرف»¹⁴، فنجد أنّ "باختين" ربط الحوارية بما تتوفّر عليه اللّغة من مستويات متباينة التي تتحاور وفق اللّهجات الاجتماعية المتعدّدة، فتتعالق هذه اللّهجات وتكوّن مواقف معيّنة تُدرج ضمن إطار لغوي حوارِي إيديولوجي.

كما أظهر "باختين" نوعاً آخر من الحوارية تتمثّل في الحوارية المونولوجية التي يتميّز بها الوعي الفردي من خلال احتدامه وصراعه مع مجموعة من الأفكار الناتجة عن المؤثرات الخارجية، أي لدى وعي الآخرين، التي تصنع بدورها توتّراً في اهتداء الوعي الفردي(الذاتي) إلى فكرة معيّنة تكون حلاً بالنسبة إليه، وذلك الحوار الدّاخلي الذي يقوم

¹³ ميخائيل باختين شعريّة دوستويفسكي، مرجع سابق، ص125.

¹⁴ المرجع نفسه، ص269.

به هذا الشخص مع ما يؤوله من أفكار الآخرين التي تتمثل في ردّة فعلهم ومدى استجابتهم أو رفضهم لفكرته، حيث يتبنّى هذا الوعي أفكار الآخرين من خلال مواقفهم وبذلك يحقق حوارية مونولوجية وهذا ما مثّل له "باختين" في مونولوج "راسك ولنيكوف" "بطل رواية" الجريمة والعقاب" الذي استحضّر بوعيه شقيقته وأمه، حيث أقام حواراً متوتراً باحثاً فيه عن حلٍّ لأفكاره،» ففي النتيجة فإنّ فكرة "راسكولنيكوف" تبرز أمامنا في حيّز فرديّ داخلي من الصراع المتوتّر بين عدد من أشكال الوعي الفردية، زد على أنّ الجانب النظري للفكرة يندمج اندماجاً تاماً مع المواقف الحياتية الأخيرة التي يحملها أولئك الذين يشاركون في الحوار»¹⁵؛ ونخلص إلى أنّ الحوارية عند "باختين" هي كلّ فكرة تندمج مع أفكار الآخرين فتحقق بذلك وعياً جماعياً، ويتحقق ذلك عن طريق الحوار

¹⁵ ميخائيل باختين شعرية دوستويفسكي، مرجع سابق ، ص 126.

الخارجي بين الأنا والآخر(الغيري) أو الحوار الداخلي(الذاتي)المونولوجي(أي بين الأنا الأولوالأنا الثاني الذي يعدّ الآخر بما أنّه يتلقّى ما يرسله الأنا الأول ويتبادل معه الحوار ليظهر من خلالهما وعيا آخ را يحقّق الوعي الجماعي.

23.. مفهوم التعدّد الصوتي (La polyphonique)

التعدّد الصوتي أو البوليفونية، خاصية تميّزت بها الرّواية المتعدّدة الأصوات التي جاءت مناقضة للرّواية الكلاسيكية ذات الصوت الواحد أو المونولوجية التي تميّز بلغة واحدة بحيث يفرض الرّوائي في نصّه إيديولوجيته على باقي الإيديولوجيات الأخرى، فيحتكر هذا المجتمع الرّوائي ويهيمن على لغته وأسلوبه وحرّيته في التعبير عن آرائه، فظهر الكاتب الروس ي "دوستوفسكي" ببناء جديد للرّواية وبشكل مخالف لما كانت عليه، فظهرت معه الرّواية المتعدّدة الأصوات حسب المنظر الروس ي "ميخائيل باختين" "الّ ذي رأى أنّ هذا النوع الرّوائي أوّل ما ظهر مع "دوستوفسكي" بعد الدراسات التي أجراها على أعماله الرّوائية، وكتب على منواله آخرون "كتولستوي" والفرنس ي "رابليه"، ويرى "باختين" أنّ الرّواية المتعدّدة الأصوات ذات طابع حوارى على نطاق واسع، وبين جميع عناصر البنية الرّوائية توجد دائما علاقات حوارية، أي أنّ هذه العناصر جرى وضع بعضها في مواجهة البعض الآخر مثلما يحدث عند المزج بين

مختلف الألحان في عمل موسيقي «¹⁶، ومنه نقصد بالتعدد الصوتي هو التعدد في المواقف الفكرية، التي تجسّد بدورها وعيا إنسانيا نتيجة تدخّل عناصر البنية الروائية التي تقوم عليها مجموعة من الشخصيات تتميز بوجهات نظر متعدّدة متباينة فتكوّن علاقة حوارية. وتكمن مميّزات الرواية المتعدّدة الأصوات في منح الكاتب شخصيات الرواية الحرّة في التعبير عن مواقفهم الفكرية، كما لها الحقّ في معارضة رأي الكاتب الذي لا يكون له صوت في الرواية إلّا بمقدار ما يكون للشخصيات الأخرى التي تُبرز الصراع بين

إيديولوجياتها التي يرى باختين أنّها « قد تكون واحدة أو متعدّدة، كما أدرك أنّا لإيديولوجيا ليست إبداعا فرديّا، ولو أنّه لا يمكن بأيّ حال إلغاء دور الفرد في عملية الابتكار و المساهمة في بلورة الوعي، بل بالعكس من ذلك، فالفرد من خلال الكلمة يؤسّس ذاته بوساطة وجهات نظر الآخرين¹⁷»، وبالتالي تقوم البنية الاجتماعية للرواية وفقا لأصوات ولغات متعدّدة، وبذلك « فإنّ الرواية باعتبارها ظاهرة تاريخية- أدبية لامتزاج ثقافي، ستكون منذ البداية نقطة لقاء عدّة لهجات «²³، حيث لا تُشترط

¹⁶ ص 21.59

¹⁷ نورة بعيو، آليات الحوارية وتمظهراتها في خماسية مدن الملح وثلاثية أرض السواد لعبد الرحمان منيف، دار الأمل، 2014، ص 2.37 برنار فاليت، الرواية: مدخل إلى المناهج والتقنيات المعاصرة، تر. عبد الحميد بورايو، دار الحكمة، الجزائر، 2002، ص 45.

المرجع نفسه،

الوحدة اللغوية في الرواية وإنما يُشترط اشتراك عدّة لغات بمستوياتها المتباينة ولهجاتها المختلفة محقّقةً بذلك تعدّدا لغويًا.

4. الكرونوتوب (Le Chronotope)

"الكرونوتوب"، مصطلح مستعرب من الكلمة الأجنبية (Chronotope)، « وهو مصطلح مقتبس من علم الأحياء الرياض ي، حيث يصف "الشكل" الذي يجمع مع الزمان والمكان»¹⁸ وتعني ترجمة المصطلح إلى العربية "الزمكانية، وكلا المصطلحين تمّت دراستهما في الأدب منفصلان عن بعضهما، وما سعى إليه "باختين" هو ازدواجهما وجعل منهما تركيبا موحدًا لا يمكن للواحد الاستغناء عن الآخر، و« لا شك أنّ "باختين" في تبنيّه المصطلح قد ربط سيولة العلاقة الزمانية المكانية (في نظرية اينشتاين النسبية) بالنقد الأدبي، خاصة أنّ النظرية النسبية تقول إنّ الفصل بين الفعل والزمن أمر محال، لأنّ الزمن هو البعد الرابع للمكان²⁵ «، ذلك أنّ حدوث الفعل يتعلّق بمكان وقوعه وزمن محدّد لوقوعه أيضا حيث يستحيل

الفصل بينهما فيقتربان في تحديد إطار خاص بالفعل فيصبح الزمان بعدا رابعا للمكان، «

¹⁸ ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ط3، المركز الثقافي العربي، المغرب

، 2002، ص170. الصفحة نفسها.²⁵

حيث يرى "باختين" أنّ أشكال الزمكانية في صورها المختلفة تجسّد الزّمن في المكان وتجسّد المكان في الزّمن دون محاولة تفضيل أحدهما على الآخر¹⁹، « ذلك أنّ تحديد الزّمن بأبعاده يكون مرتبطاً بمكان وتحديد المكان بأبعاده أيضاً يكون في علاقة مع الزّمن كما » ينبغي أن نضيف في الحال أنّ "باختين" لا يستخدم فكرة كرونوتوب بشكل حصري ولا يحدّها بتنظيم الزمان والمكان فقط بل يُوسّعها ويمدّها باتجاه العالم (حيث يمكن دعوة العالم بأنّه كرونوتوب ما دام الزّمان والمكان مقولتين أساسيتين بالنسبة لأيّ عالم متخيّل) «²⁷ فيجعل من العالم كرونوتوبا نسبة لما يحتويه العالم من أحداث تكون مرهونة بإطار زماني ومكاني.

حدّد "باختين" أنواعاً للكرونوتوب تمثّلت في « هرونوتوب اللقاء والطريق والافتراق وهرونوتوب الزّمان الديني والكرنفالي، إنّ لكل واحد من هذه الهرونوتوبات سمته الخاصة به »²⁰، يتميّز كرونوتوب الطريق بأعلى نسبة كرونوتوبية ذلك أنّ مجمل اللقاءات والعلاقات بين الأشخاص من مختلف الأجناس وبمستوياتها الاجتماعية والثقافية تحدث في الطريق

¹⁹ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تزيّتان تودوروف، ميخائيل باختين: المبدأ الحوارية، مرجع سابق، ص 159. ²⁷

²⁰ زهير شليبه، ميخائيل باختين ودراسات أخرى عن الزّواية، ط1، دار حوران، سوريا

2001، ص 16. الصفحة نفسها²⁹

المرجع نفسه،

الذي بدوره يرصد أحداث الزّمان التي قضاها الأشخاص في فترة من الفترات، فالطريق يستدعي الزّمان بعدا له مشكّلا كرونوتوبه، أمّا عن كرونوتوب اللقاء والوداع» فهرونوتوب اللقاء يتميّز بصبغة زمنية وبمستوى عال من الفاعلية العاطفية للقيم ولكن بدرجة أقلّ مما هي في هرونوتوب الوداع «²⁹، كما نجد نوعا آخر هو "كرونوتوب العتبة" أو "فضاء العتبة" (Seuil) يتمثّل في الاضطرابات التي تشوب عالم الرواية بشخصياتها في الأماكن التي دارت فيها حوارات الشخصوس والتي تحتوي على العتبات كالمداخل والمخارج، ففضاء العتبة» هو فضاء الصدمات والأزمات والمشاكل العضوية والنفسية... ويكون هذا الفضاء عبارة عن فضاءات مفتوحة كالساحات أو الممرات أو

العتبات الوسيطة التي تفصل الداخل عن الخارج»²¹، إنّ هذه الكرونوتوبات التي حدّدها "باختين" لا تُعدّ خصائص يُشترط أن تتوفّر عليها جلّ الروايات وإنّما هي أمثلة تُقاس منخلها العلاقة بين الزمان والمكان بتسميات أخرى تطرأ على رواية معيّنة، فقد تتوفّر عينها وقد تردّ بتسميات تتعلّق بالأمكنة التي تتبنّاها الرواية

خاتمة

تكشف النظريّة الحوارية عند باختين عن أصوات متعدّدة ووجهات نظر متباينة ومتصارعة والتي ترتبط بتعدّدية لغويّة على مستويات السرد والحوار الذي يتبنّاها العم ل الروائي، وكذلك البنية التركيبيّة التي تتبنّى جزءاً كبيراً من الواقع وتعلّقها به، كما يمنح الكاتب لشخصيات روايته الحقّ بالإدلاء بأصواتها، فيظهر صوته معادلاً لها من خلال ما يوكله للسارد.

كما تحفل الرواية المتعدّدة الأصوات بخلق حركيّة في الخطاب من خلال التفاعل بين اللّغة والإيديولوجيا و ما يتوفّر عليه النصّ من لغات اجتماعية مختلفة، وإيديولوجيات تقوم على

تعدّدية صوتيّة وكذلك با لإعتماد على عناصرٍ كان لها الفضل في خلق صورة اللّغة بواسطة التهجين وتعالق اللّغات المتحاورة والحوارات الخالصة .

قائمة المصادر والمراجع

- 1-ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر. محمد برادة، ط 1، دار الفكر، القاهرة 1987.
- 2-سعيد يقطين، تحليل الخطاب الرّوائي، ط 3، المركز الثّقافي العربي، بيروت، 1997.
- 3-تزيّفتان تودوروف، ميخائيل باختين: المبدأ الحواري، تر. صالح فخري، ط2، المؤسّسة العربيّة للدراسات، بيروت، 1996.
- 4-ميلود شنوفي، إشكاليّة التعميم في حواريّة باختين: نزيف الحجر لإبراهيم الكوني نموذجاً، رسالة دكتوراه، مخطوط، جامعة الجزائر2، 2011.
- 5-ميخائيل باختين، الكلمة في الرّواية، تر. يوسف حلاق، ط1، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1988.
- 6-ميخائيل باختين، شعريّة دوستوفسكي، تر. جميل نصيف التكريتي، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، 1986.
- 7-عبد المجيد حسيب، حوارية الفن الرّوائي، كلىّة الآداب واللّغات، المغرب، 2007.

8-نورة بعيو، آليات الحوارية وتمظهراتها في خماسية مدن الملح وثلاثية أرض السّواد لعبد

الرحمان منيف، دار الأمل، 2014.

9-برنار فاليت، الرواية: مدخل إلى المناهج و التقنيات المعاصرة، تر.عبد الحميد بورايو، دار

الحكمة، الجزائر، 2002.

10-ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ط3، المركز الثقافي العربي، المغرب ،

2002.

11-زهير شليبه، ميخائيل باختين و دراسات أخرى عن الرواية، ط1، دار حوران، سوريا ،

2001.

12-جميل حمداوي، مستجدات النقد الروائي، ط1، 2011.